

الجارديان: بايدن يندم الآن لدعمه القوي لنتنياهو – يجب أن يتصرف قبل فوات الأوان



نشرت صحيفة الجارديان مقالاً للكاتب سايمون تيسدال ينتقد موقف الرئيس الأمريكي جو بايدن من الحرب في غزة ودعمه القوي لإسرائيل.

يلفت الكاتب في مستهل مقاله إلى أن جو بايدن يواجه إشكالية بنيامين نتنياهو – وكيفية تعامله معها تصبح أكثر إلحاحاً مع كل يوم وحشي ودموي يمر في حرب في غزة، مشيراً إلى أن حياة آلاف الفلسطينيين معلقة بالإجابة على هذا السؤال. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالأمال في وقف هذه الحرب المدمرة للغاية والتي تمتد إلى ما هو أبعد من غزة، وفي إحراز تقدم نحو السلام الدائم.

ويضيف الكاتب إن قصف رئيس الوزراء الإسرائيلي بعد الهدنة والاجتياح البري لجنوب غزة يبدو أكثر «جحيماً»، على حد تعبير مسؤول في الأمم المتحدة، من الفوضى العشوائية في الشمال التي سبقت التحرك جنوباً.

ويتمتع الرئيس الأمريكي بالنفوذ والتأثير المحتملين لكبح جماح نتنياهو وهو ما لا يتمتع به القادة الأوروبيون والعرب. ويتعين على بايدن أن يأخذ زمام المبادرة.

كان من الواضح قبل وقت طويل من هجمات حماس أن نتنياهو وبايدن كانا بالكاد يتحدثان. وقد حجبت إدارة بايدن دعوة البيت الأبيض المعتاد بعد انتخابات الخريف الماضي، والتي أوصلت تحالف نتنياهو اليميني المتشدد إلى السلطة.

وكان السبب الرئيس هو قلق بايدن من السياسات المتطرفة المعادية للفلسطينيين التي تتبناها الحكومة الجديدة، ولا سيما في الضفة الغربية المحتلة. ومع ذلك، عندما هاجمت حماس، نحى بايدن الخلافات جانباً، لأنه تعامل معه بشرف.

كان خطأه، أو ربما خداعه الذاتي المتعمد، هو الاعتقاد بأن نتنياهو كان رجلاً بالقوة نفسها. واقترح بايدن على الفور مساعدات عسكرية بقيمة 14 مليار دولار، ونشر مجموعات قتالية لحاملات الطائرات وتوجه إلى تل أبيب. وأعرب عن تعاطفه وتضامنه ودعمه لإسرائيل ولنتنياهو.

مع ذلك، فقد فسر نتنياهو هذا العرض للدعم على أنه تفويض مطلق لفعل كل ما يحلو له في ملاحقة حماس في غزة. ويتمثل «إنجازه» الرئيس حتى الآن، بالنظر إلى أن حماس لم تُهزم بعد، هو مذبحه لم يسبق لها مثيل للمدنيين الفلسطينيين، إذ بلغ إجمالي القتلى حوالي 16000.

تحول بطيء

بعد التشكيك في البداية في الحجم الهائل للمذبحة، قام بايدن ببطء - ببطء شديد - بتعديل موقفه، وأصدر دعوات شديدة اللهجة على نحو متزايد للتناسب، والوصول إلى المساعدة الإنسانية، واحترام القانون الدولي.

ويشير الكاتب إلى أن بايدن يستجيب جزئياً للضغوط العربية والمخاوف من حرب أوسع، ويرجع ذلك جزئياً إلى الفرع المتزايد بين الديمقراطيين والناخبين الأصغر سناً بشأن تصرفات نتنياهو. لكن يبدو أنه صدم حقاً. هذه ليست إسرائيل التي عرفها ودعمها لعقود في الكونغرس.

ومع ذلك، فإن نتنياهو وجنرالاته، بينما يزعمون أنهم يستمعون إلى بايدن، ليسوا كذلك حقاً. وقد أدى استهدافهم المرعب بعد الهدنة لخان يونس، أكبر مدينة في جنوب غزة والقاعدة المفترضة لزعيم حماس يحيى السنوار، إلى سقوط ضحايا جماعيين مرة أخرى.

وقال أنتوني بلينكين، وزير الخارجية الأمريكي، لنتنياهو الأسبوع الماضي إن واشنطن تفقد صبرها. وقال «الخسائر الفادحة في أرواح المدنيين والنزوح بالحجم الذي رأيناه في شمال غزة يجب عدم تكرارها في الجنوب».

رددت نائبة الرئيس الأمريكي كامالا هاريس في دبي مطالبة بلينكين بأن تتوقف إسرائيل عن خرق القانون الدولي، وهو ما تفعله بشكل واضح على أساس يومي. وحذر وزير الدفاع لويد أوستن نتنياهو من أنه «يستبدل هزيمة استراتيجية بالنصر التكتيكي» بدفع الفلسطينيين إلى أحضان حماس.

مصالح نتنياهو الذاتية

ويضيف الكاتب أن نتنياهو من حقه مقاومة النصائح الخارجية، حتى من صديق وشريك إسرائيل العسكري والدبلوماسي والمالي الذي لا غنى عنه. لكن هذا منطقي فقط إذا كان يخدم مصلحة إسرائيل. وهذا هو الجوهر. ولكن منذ بداية هذه الأزمة، وضع نتنياهو، كالعادة، مصالحه الشخصية والسياسية أمام مصالح بلاده.

بعد الإشراف على أسوأ فشل أمني منذ 56 عاماً، يأمل نتنياهو في إنقاذ سمعته ووظيفته من خلال إجراء حرب ناجحة - ويفضل أن تكون طويلة. وفي الوقت الحالي، يرفض نتنياهو عمداً حث الولايات المتحدة على تجنب التكتيكات التي من شأنها أن تتسبب في خسائر إضافية ضخمة في جنوب غزة.

ورغم رفض الجيران العرب والمجتمع الدولي، يريد نتنياهو إنشاء منطقة عازلة دائمة في غزة المكتظة. مفضلاً الاحتلال العسكري المفتوح، يرفض نتنياهو رفضاً قاطعاً وجهة نظر بايدن بأن السلطة الفلسطينية هي الأفضل لتولي مسؤولية غزة بعد الحرب ويسخر من الحديث عن إحياء حل الدولتين.

علاوة على كل ذلك، فإنه يتجاهل، بل ويغازل، خطر التصعيد الإقليمي الأوسع - وهو الكابوس الذي تخشاه واشنطن أكثر. ومنذ انتهاء هدنة غزة يوم الجمعة، اندلعت أعمال عنف ذات صلة بشكل متوقع من جديد من الضفة الغربية وجنوب لبنان إلى البحر الأحمر.

تحرك مطلوب

ويتابع الكاتب: قد يحسب نتنياهو أن هناك ميزة سياسية في القدرة على الادعاء بأنه «وقف» في وجه الأمريكيين. ويجب على بايدن أن يحرمه بسرعة من هذه الفكرة - والفكرة الأكبر والخبيثة القائلة بأنه يمكنه الاستمرار في متابعة حرب تعاقب جماعياً السكان العزل، والتي تضر على نحو متزايد بالمصالح الأمريكية والغربية، وهذا يضر بأمن إسرائيل على المدى الطويل.

لا يمكن لبايدن الاستمرار في التراجع أو الاختباء خلف مسؤوليه. ويجب أن يتدخل شخصياً - ويرسم خطأ. ويحتاج بايدن إلى التوقف عن التوسل والتذمر، وتوضيح التكاليف الملموسة لهذا المسار المتهور (بما في ذلك العقوبات الأمريكية المطروحة)، والتحدث مباشرة، كما فعل في أكتوبر، إلى الإسرائيليين والأغلبية المناهضة لنتنياهو والرافضة للتطرف. ومن بين البدائل المحتملة لرئيس الوزراء يائير لابيد وبيني غانتس.

ويختتم الكاتب بالقول إن نتنياهو ليس شخصاً لائقاً لقيادة إسرائيل في هذه الأزمة. ولا يهتم بعدد الأشخاص الذين يموتون، طالما أن سلطته باقية. ومن

خلال توظيفه لذكرى ضحايا أكتوبر باعتبارها سلاحاً وتعريضه الرهائن المتبقين للخطر، فإنه يجذب الإسرائيليين إلى طريق مسدود مميت فوق جثث سكان غزة المكذبة.